المحور الثاني: المأسسة الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية في علم الاجتماع

أولا: مقاربة علم الاجتماع العام

المحاضرة الرابعة: أبرز ملامح المأسَسَة والمؤسسة الاجتماعية لدى كل من بيير بورديو وفرانسوا ديبيه

❁ بيير بورديو (1930–2002م): عالم اجتماع فرنسي معاصر عرف بنظريته عن إعادة الانتاج، ونظام الهيمنة الثقافية، كما عرف بغزارة الانتاج الفكري، وقد كانت أعماله موضوع شروحات ودراسات نقدية كثيرة[1].

❁ فرانسوا ديبيه (1946م): عالم اجتماع فرنسي معاصر، اشتغل في مركز التحليل والتدخل السوسيولوجي الذي أسسه توران، اندرجت بعض أعماله في إطار علم اجتماع العمل، وبعضها تركز حول التربية والمؤسسات والحظوظ التربوية[2].

01* موقع المؤسسة الاجتماعية في علم اجتماع حسب رؤية كل من بورديو وديبيه: يتمحور **اهتمام علم اجتماع لدى بورديو حول سؤال جوهري: كيف تستمر البُنى والمؤسسات الاجتماعية ويعاد إنتاجها دون مقاومة فاعلة ودون معرفة واعية لأصحابها؟** يبرز بورديو **دور إعادة الإنتاج من خلال الثقافة، والسلطة الرمزية التي تُستخدم لتكريس الانقسامات الاجتماعية** عن طريق **طقوس المرور الاجتماعي(المكرسة اجتماعيا)**، مثل **الامتحانات المدرسية**، ومختلف **الطقوس الاحتفالية** التي تميل إلى التصنيف والترتيب الاجتماعي لتعيد إنتاج ما هو ملائم، وأيضا **القانون الأساسي للمؤسسات**، ومن خلال ما **يكرسه التعليم من أفكار وتقاليد وعادات وطرق استخدام**[3]. لقد **ركزت تحليلات بورديو دائما على الأساليب والآليات التي تهيمن بها المؤسسات الاجتماعية وتفرض سلطتها، من خلال اللاّوعي الاجتماعي للأفراد**، لأن **البنيات والمعايير الاجتماعية** يتم ترسيخها في **البنيات العقلية** (الهابيتوس) التي تحدد **أحكام وأذواق الأفراد الشخصية**، وتوجه سلوكهم ورؤيتهم للعالم، بطريقة لا يعيها هؤلاء الافراد[4]؛ **وتتغلغل المؤسسات الاجتماعية إلى داخل الأفراد عن طريق تلك البنيات العقلية التي تنتجها هي فيهم (الهابيتوس)** ، لكنها **تبقى (المؤسسات) متموضعة خارج تلك البنيات**[5]، بحيث **يبدوا للأفراد أنهم مستقلين عنها وأنهم يتصرفون وفق حسابات خاصة** بهم، بينما هم في الحقيقة **لا يعلمون بأي طريقة تتدخل تلك المؤسسات** ومن خلالها نظام الهيمنة الاجتماعي ككل في **توجيه ميولهم وأذواقهم وتحديد مساراتهم.**

---

[1] – انظر: دورتيه، مرجع سابق، بورديو، بيير

2 – المرجع نفسه، دوبيه، فرانسوا.

[3] – Anthony Glenoer، مرجع سابق.

[4] – أنظر: كابان ودورتيه، مرجع سايق، ص–ص.210–211.

[5] – أنظر: Marie-Carmen Garcia، مرجع سابق.

أما ديبيه فقد **جعل علم الاجتماع يهتم بتحليل التجربة الاجتماعية التي يخوضها الأفراد كي يعيشوا في المجتمع.** ويطبق ديبيه أطروحته تلك على الفضاء الدراسي ومؤسسة المدرسة خاصة، هذه المؤسسة التي تمثل نموذجا لتراجع دور المؤسسات الاجتماعية التقليدية وانحسار مساحة تَحَكُّمِهَا[1] في الحياة الاجتماعية. وهو يقوم بذلك إنطلاقا من **واقع ان الأطروحة التي بُني عليها علم الاجتماع الكلاسيكي**، والتي **ترى في الفرد صورة مطابقة للمعايير والقيم الاجتماعية** (باعتبار الفرد انعكاس للمؤسسات "فكرا وسلوكا")، و**تُنَظّر للانسجام الاجتماعي في ظل نظام له القدرة على فرض منطقه الواحد** عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تدمج الأفراد ضمن منظومة اجتماعية موحدة؛ **هي أطروحة انتهت واقعيا على مستوى التنظير** في علم الاجتماع المعاصر (حيث انها لم تعد مركز اهتمام علماء الاجتماع المعاصرين)، أما على **المستوى الواقعي للحياة الاجتماعية** فإننا نرى **أن المجتمع اليوم لم يعد كُلاًّ منسجما مُوحّدا**؛ بل هو مجتمع يشهد انقسامات بين الحكومي والاقتصادي والسياسي ... **ولم يعد يقدم لأفراده مسارا مرسوما بدقة ووضوح لأجل الحياة الاجتماعية**[2]. بل يضعهم في موضع يحتم عليهم أن يواجهوا الحياة الاجتماعية باعتبارها **مجهودا شخصيا** يحتاج منهم إلى **خطط فردية** تمكنهم من الحياة **وفق أهدافهم** الخاصة، و**مميزات شخصيتهم**، لكن في **ظل القواعد والاطر الاجتماعية** التي تضع أمامهم **الكثير من الحدود والقيود لأجل الحياة الاجتماعية.**

02* المؤسسات والحقول الاجتماعية لدى بورديو: وفق رؤية بورديو فإن **الموارد والعمليات والمؤسسات الثقافية** في المجتمع **تضع الأفراد والمجموعات في تَرَاتُبِيّات هيمنة متنافسة** (تدرج طبقي معين يهيمن فيه البعض على البعض، ويتصارع ويتنافس البعض مع البعض)، لأن **جميع الرموز والممارسات الثقافية**؛ بدءا من **التذوق الفني**، و**أسلوب اللباس**، و**عادات الأكل**؛ إلى **الدين**، **والعلوم والفلسفة**، (وحتى اللغة)، **هي أدوات لتجسيد مصالح** وآليات تعمل **على تعزيز التمايزات (الاختلافات) الاجتماعية**[3]. **والحياة الاجتماعية** حسب بورديو **تنقسم** إلى **مجموعة من الحقول (المجالات): سياسية، وفنية، وإعلامية، وأدبية، جامعية** ... تبدوا وكأنها مستقلة عن بعضها، بحيث كل **حقل اجتماعي هو عالم صغير داخل العالم الاجتماعي الكبير**[4]، له قوانينه ونظامه الداخلي، وهو **مكان للتوترات والصراعات على المكانات والتصنيفات**، ومن يدخله عليه أن **يتقن قوانينه وقواعده الداخلية، وإلا سيتم اخراجه منه**، ويتم **خوض تلك الصراعات** على الصعيد المؤسساتي (اكتساب وظائف وأمكنة، ...)[5]، **حسب ما هو متاح في كل حقل** وفق تصور بورديو لمفهوم ودور المؤسسة وآليات عملها الذي أشرنا إليه في ما سبق، والذي سنشير إليه فيما بعد.

03 * انحسار وتراجع دور المؤسسة في الواقع المعاصر حسب ديبيه: إن **المؤسسة الاجتماعية باعتبارها نظاما للضبط والتحكم، واتخاذ كافة القرارات التي ترسم الأطر التي توجه الأفراد**، قد **تراجع دورها في عالم اليوم** ولم تعد تمتلك

---

[1] -François Dubet. Declin de l'institution et/ou neolebéralisme ?, **Education et Sociétés**. 2010/01(n° 25), p. 17-34, URL : https://www.cairn.info/revue-education-et-sociétes-2010-1.htm. consultée le 12/09/2018

[2] – أنظر: حديث دوبيه حول ذلك في المقابلة التي تمت معه سنة 1995 المعاد نشرها في: كابان ودورتيه، مرجع سابق.

[3] – المرجع السابق، ص.115.

[4] – دورتيه، مرجع سابق، بورديو، بيير، ص.163.

[5] – بوخريسة، بوبكر. سوسيولوجيا بيير بورديو: تحليل في النظرية والمفاهيم والمنهج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017، ص. 163.

القدرة والآلية المناسبة **للتأثير الاجتماعي المفترض أن تؤديه؛ أو الذي كانت قادرة على تأديته تقليديا**-كما يرى ديبيه- وبالخصوص **مؤسسة المدرسة كجهاز مسؤول عن تحديد مسارات وأهداف ومطالب التنشئة الاجتماعية**، إذ تواجه **برامجها وأساليبها وأهدافها اليوم منافسة مع ثقافات تقدمها وسائل الإعلام** التي لها القدرة على استقطاب المتعلمين والتحكم فيهم وتوجيههم **بطريقة أكبر وأوسع مما تستطيع المدرسة فعله**، حيث في ظل الظروف الاجتماعية في عالمنا المعاصر لم تعد **المدرسة هي المؤسسة الوحيدة التي تتيح للمتعلمين توسيع الآفاق التي تحررهم من روتين حياتهم وتتجاوز بهم عالمهم ليتخطوا أسوار طبقتهم ومدينتهم، بل إن وسائل الإعلام هي من أصبحت تقدم البديل الثقافي الأكثر إغراء**[1].

04* العنف الرمزي وسيلة الهيمنة المؤسسية حسب رؤية بورديو: يتم **ترسيخ وتثبيت نظام مؤسسات الهيمنة، والحفاظ على ثقافته وإعادة إنتاجها**، عن طريق **التنشئة الاجتماعية ومختلف العمليات الأيديولوجية التي تتم من خلال مؤسسات التعليم الرسمي ومؤسسات الإعلام، والسياسة**، التي تعمل كلها على **إخفاء الصِّلات بين الطبقة والهيمنة**، عن طريق **فرض تلك الهيمنة بواسطة العنف الرمزي**[2]. الذي **هو هادئ ومُقَنَّعْ يُمَارَسُ على العقول وليس الأجساد**[3]، ولا يكون ظاهرا، **ويتم بواسطته محاباة (تفضيل) الثقافة التمييزية المهيمنة والحفاظ على هيمنتها ومجال انتشارها وتوسيعه بطرق غير مباشرة**. من خلال غرس **فكرة سُمُو تلك الثقافة وجَدارتها بأن تكون هي المهيمنة** (جعلها ذات هيبة رمزية وواقعية)، **في أذهان المُهَيْمَن عليهم** (هابيتوس المهيمن عليهم)؛ وفي المقابل **تُرَسَّخْ في أذهانهم فكرة عدم أهلية ثقافتهم وطريقتهم في الحياة وأفكارهم ... وعدم جدارتها بالوصول إلى مستوى تلك الثقافة المهيمنة**، وتشعرهم بنوع **من الدونية وهم يتعاملون بثقافتهم (ثقافة وسطهم الاجتماعي)، باعتبارها رأس مال غير مربح**، حيث لا **تؤهلهم للوصول إلى المراكز والمكانات الاجتماعية**، وباعتبار أيضا أن **السلطة الواقعية تحتكرها الطبقات المهيمنة عبر ثقافتها** التي هي **رأس المال المربح** لنظام الهيمنة (واقعيا) بمؤسساته وحقوله المختلفة، وعبر الافراد الذين يتم تلقينهم إياها؛ وإعادة انتاجها من خلالهم.

05* التجربة الاجتماعية كمنهج حياة في ظل تراجع التحكم والسيطرة المؤسسية التقليدية حسب رؤية ديبيه:

إنطلاقا من رؤية ديبيه للمجتمع **اليوم بأنه ليس وحدة متجانسة منسجمة، ورؤيته للمؤسسات الاجتماعية (التقليدية خاصة) بأنها فقدت دورها الذي كانت تؤديه في الماضي**، فإن **مجتمع اليوم تنفصل فيه أشكال المنطق الثلاثة: الاندماج** (ضمن المجتمع والتكيف مع نظمه المؤسسية)، ومنطق **المصالح الإستراتيجية** (منطق السوق، حيث المنافسة مع الآخرين لتحقيق المصالح والأهداف الخاصة)، ومنطق **تكوين الخبرة الذاتية** (النضال على مستوى الثقافة وبناء الشخصية المستقلة)

---

[1] – لتفاصيل أكثر حول الموضوع أنظر: François Dubet. Declin de l'institution et/ ou neolebéralisme ?، مرجع سابق

[2] – كابان ودورتيه، مرجع سابق، ص. 214.

[3] – ذلك لا يعني ان بورديو يبعد الاجساد عن مجال تأثير سلطة الهيمنة وآليات توجيهها للافراد، بالعكس فقد اهتم أيضا بالجسد باعتباره مجالا للتحكم المؤسسي في الأفراد... يمكن الرجوع في هذا الموضوع مثلا إلى: شلنج، كريس. الجسد والنظرية الاجتماعية، ترجمة: منى البحر ونجيب الحصادي، كلمة، ابو ظبي- الامارات .ع.م، و دار العين للنشر، القاهرة- مصر، ط01، 1430هـ -2009م.

عن بعضها، لذلك تصبح الحياة التي **يحياها الأفراد بمثابة تجربة غير سهلة**، إذ تحتاج منهم إلى **الربط بين تلك الأشكال الثلاثة المنفصلة من المنطق لأجل ذواتهم**، والبعض ينجح في بدرجة كبيرة والآخر بدرجة أقل بينما قد يفشل البعض[1].

ويبني ديبيه أطروحة **"التجربة الاجتماعية" على مبدأ أن الحياة الاجتماعية الحالية لم تعد تقدم للفاعلين الأفراد** (بل وحتى للمؤسسات) **سبيلا سهلا للحياة**؛ ولم تعد تُقنعهم بأن **الحياة الاجتماعية تُعاش بطريقة عفوية نمطيه متشابهة**؛ وفق **معايير موحدة متحكمة** (مؤسسات ومعايير اجتماعية وأنماط حياة محددة)، كما تركز تلك الأطروحة **على المأزق الذي يواجهه الفاعلون الاجتماعيون الذين يضطر كل منهم إلى خوض تجربته الاجتماعية الخاصة** في ظل **خبرته بحياة لا تقدم له طريقا متجانسا يسلكه** بعفوية، إذ عليه **إدارة مختلف التوترات التي تنشأ عنها في ظل تعدد وانفصال أنواع المنطق** التي يُتطلب منه المُكَامَلَة والموازنة بينها، **كي يحقق الحد الأدنى من الاندماج مع محيطه الاجتماعي** الذي يواجهه بالكثير من الضغوط التي تضطره إلى الانخراط في **مواجهات ومنافسات**، كي **يطور ويحقق استراتيجياته المرتبطة بأهدافه** الخاصة، **ويبني ذاته كشخصية ذات رؤية وهدف ومعنى**[2]. وتلك التجربة **التي تُعاش كخبرة وممارسة ذاتية لا تقدم لكل الافراد بالتساوي فرصة حياة كاملة أو متكاملة**، بل تقدم لكل **منهم إمكانية تحقيق حد معين من الرضا والاشباع** الذي قد يختلف عن ما يحققه الآخرون؛ بما يجعل **من أداء كل فرد لدوره في المجتمع قضية تجربة ذاتية** يحقق من خلالها **وبدرجة معينة**، متطلبات **دوره** ويشبع **حاجاته** ويبني **ذاته** في حدود معينة **وفق رؤيته**، وربما **لا توصل تلك التجربة بعض الأفراد** إلى أي **اشباع لحاجاتهم** وانسجام مع دورهم ومركزهم الاجتماعي أو ما كانوا يتوقعونه ويريدونه.

06* إعادة إنتاج النظام المؤسسي كوسيلة للحفاظ على الهيمنة المؤسسية وفق رؤية بورديو: يقصد بإعادة الإنتاج هنا ووفق تصور بورديو **إعادة إنتاج نظام الهيمنة لنفسه، وتبرير وجوده والحفاظ على استمراريته**، وبذلك فهو يشير إلى عملية **مستمرة متزامنة**، ترتبط فيها **الآلية المؤسسية للهيمنة على مستوى البناءات والنظم والإجراءات** التي يجري العمل بها في الواقع، بالعمل **على مستوى خلق البُنَى النفسية والعقلية** (الهابيتوس)، وعلى **مستوى الظروف المتعلقة بفضاءات وقواعد التصرف الخاصة المتاحة** (الحقول الاجتماعية)، حيث يتم **استخدام السلطة والعنف الرمزيين كأداة لتسويق بقاء تلك الهيمنة**، واستبعاد **أي إمكانية للتشكيك فيها على المستوى الفكري**، ويتم الاستعانة **برأس المال الثقافي "معارف، شهادات، برامج ومناهج ..."** كأداة للحفاظ على **معايير وقواعد قوتها**، وبقائها على المستوى الواقعي **بالتحفيز على التمسك بها لأنها عملية** (واقعية) **ومُجزية** (مُربحة اجتماعيا)، **وتحقق هدف الأفراد في الحصول على القوة والمكانة داخل الحقل الذي ينشطون فيه**. ويعطي **بورديو للمؤسسة التعليمية دورا أكبر في تسويق رأس المال الثقافي للطبقات المهيمنة واستثماره لإعادة إنتاج نظام الهيمنة**، والحفاظ على **علاقات اللاّتَكَافُؤ في الحظوظ مثلما هي موجودة في البنية الاجتماعية الكلية.**

[1] – كابان ودورتيه، مرجع سابق، ص.297.

[2] – أنظر: المرجع نفسه، ص– ص. 290–291. وأيضا: دورتيه، مرجع سابق، دوبيه، ص.390.